الربع الخالي

فصل من كتاب تحت الطبع عن احوال نجد والحجاز

بقلم السيد فؤاد حمزة وكيل خارجية حكومة العربية السعودية

« الربع الخالي » اسم حديث لمنطقة شاسعة من الرمال كانت تعرف فيما مضى باسم رملة يبرين . قال ياقوت [1] : «يبرين رمل لا تدرك اطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة. وفي كتاب نصر : يبرين من اصقاع البحرين به منبران ، وهناك الرمل الموصوف بالكثرة بينه وبين الفلج [2] ثلاث مراحل وبينه وبين الاحساء وهجر مرحلتان وهو فيما بينهما وبين مطلع سهيل

وقال الهمداني [3] : وعن يمين البحرين ودونها يبرين والظن موضع فيه نخل كثير لبني ودعة ويبرين نخل وحصون وعيون جارية وغير جارية ومياخ . وقال ايضاً [4] : يبرين في شرقي اليمامة وهي على محجة عُمان إن مكة وكأنها ادخل في محاذاة اليمامة الى الجنوب شيئاً وبينهما وبين حضرموت العجم بلد واسع لا يقطع وسنطرها من اليمامة بين المشرق والجنوب ؛ وما بين يبرين وبين البحر الرمال ولها طريق الى اليمامة وإلى البحرين ، وهي ارض منقطعة بين الرمال وهي ذات نخل كثير من الصغرى والبرني وذات زرع قليل وبها بئق كبار على هيئة بعض البهرة وساكنها من لحوم العرب أي بطون العرب ويقال طخوم مثل لحوم ثم استخرجتها من أيديهم قشير ، ثم اخرجت القراطة بني قشير عنها

وأما ابعاد هذه المنطقة فهي غير محددة على وجه الصحة والمعروف بين العرب انها تبدأ من جنوبي واحة يبرين العامرة الآهلة مرة على مسيرة ثلاثة ايام منها نحو الجنوب وتمتد الى الهضاب الموازية لساحة البحر الهندي في الجنوب ، والى الجهة الغربية والغربية الجنوبية من هذه المقاطعة توجد مساحات شاسعة من الرمال الرقيقة المعروفة بالاحقاف ، وهذه يروى عنها انها مغران تبتلع الاجسام الثقيلة التي تطؤها

وظل جهل الناس بهذه المنطقة المترامية الاطراف كبيراً بالرغم عن وجود كثيرين من البدو ممن اخترقوها في سيرهم من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب وعاشوا فيها وذلك لعدم تدوين شيء عن احوالها أو نشره . وقد سمعتُ جلالة الملك عبد العزيز يذكرانهُ في بعض

---

(١) م ٨ ص ٤٩٤ (٢) المظنون انها الافلاج اليوم (٣) ص ١٣٧ صفة اوربا (٤) ص ١٦٥

سني ضيقه في ايامه الاولى كان يعتصم بأطراف الربع الخالي وانه اقام فيه مدة متوالية تقرب من اربعين يوماً ، وقد بُذلت جهود عديدة للوقوف على احوال هذه المنطقة وما حوته من اناس وحيوان ونبات وما فيها من جبال ووديان ومياه وغدران الى ان وفق في السنتين الاخيرتين رجلان من مجازفي الانكليز الى اختراقها أحدهما وهو المستر برترام توماس من الجنوب الى الشمال الشرقي مجتازاً اطراف الرمال الكثيفة الشرقية وثانيهما المستر سلت جون فلبي من الشمال الى الجنوب الى نقطة متوسطة ، كان وصلها المستر توماس واتجه منها غرباً الى منتهى وادي الدواسر

ولسنا هنا في معرض الدخول في تفاصيل الرحلتين الآنفتي الذكر ولا كيفية القيام بهما، وانما نكتفي بذكر أن المستر برترام توماس حاول اختراق منطقة الرمال الكثيفة عدة مرات ولم يتح له الوصول الى غرضه إلا في شتاء عام ١٩٣٠ — ١٩٣١ ففي ذلك الوقت أكمل معداته للسفر من ظفار على شاطئ المحيط الهندي ماراً بسلسلة جبال القارة المشرفة على المحيط الهندي ومؤخرها يتصل بأقليم المهرة المعروف في تلك الجهات بنجد . وفي ١٩ ديسمبر سنة ١٩٣٠ كان بقرب شيصور [١] التي تبدأ منها المنحدرات الشمالية للبلاد النجدية هذه حيث المنتهى الجنوبي لمنطقة الرمال . وقد استغرق اختراقه الرمال من شيصور الى قرب شبه جزيرة قطر ما يقرب من شهر . وكانت طريقه على محاذاة الحافة الشرقية لربع الخالي الصحيح حيث تكثر المياه والآبار والخيران

وأما المستر فلبي فانهُ اتبع طريقاً آخر للسير . فسار من الهفوف (الحسا) في اواخر شهر يناير سنة ١٩٣٢ الى واحة جبرين ومنها اتجه جنوباً الى حيث يكون الربع الخالي في متوسط تقاطعه من كل الجهات عند بئر نيفا [٢] وانطلق من هناك في اتجاه شرقي مطرد الى مسافة ٢٥٠ ميلاً فوصل الى بلدة سليل في منتهى وادي الدواسر . ومن اجل التدقيق في العمل وربط النتائج التي حصل عليها هو بالنتائج التي حصل عليها المستر توماس في الشتاء السابق فقد وصل فلبي الى آبار شنة الواقعة على خط العرض ١٨ درجة و٥٩ دقيقة

وكان من نتائج الرحلتين الآنفتي الذكر أنهُ أمكن معرفة كثير من الحقائق الجغرافية والجيولوجية والاجتماعية لمنطقة الربع الخالي الشاسعة التي يجوز لنا أن نحددها بانها واقعة بين خطي العرض ١٨ و٢٤ من العرض الشمالي والخطين ٤٦ و٥٤ من الطول الشرقي

نعم ان الرحالتين توماس وفيلبي لم يتمكنا من زيارة كافة أصقاع الربع الخالي ؛ وبقيت أمام طلاب الارتياد مساحات اخرى يجب تعرف احوالها ، إلا أنهما وفقا بصورة جازمة الى ايضاح

(١) تقع على نقطة تقاطع خطي الطول الشرقي ٣٠° ٥٣ والعرض الشمالي ١٨° ٥٠

(٢) تقع هذه الآبار عند نقطة تقاطع خطي الطول الشرقي ٤٩° ٣٥ والعرض الشمالي ١٩° ٥٠

المهم من طبيعة هذه البلاد وتكوينها وما فيها من تضاريس طبيعية واحوال عمرانية واجتماعية[١] مما نصفهُ بايجاز فيما يلي :

قال توماس [٢] يتألف الربع الخالي من أراض صحراوية يكاد يكون قسماها الشرقي والجنوبي الى حد يقرب من ثلث مساحتها كلها عبارة عن اراضي الهضبات والقسم الباقي عبارة عن أوقيانوس من الرمال المنتشرة نحو الشمال والغرب وتسمى الهضاب الجنوبية نجداً والشرقية صيحا في قسمها الشمالي وجادة الحراسيس في قسمها الجنوبي حالة كون المناطق الرملية معروفة باسم الرمل أو الرمال

وقد وجد المستر توماس أن حافة الرمال الجنوبية تمتد على محاذاة الساحل الجنوبي للبلاد العربية من رملة مغشن [٣] إلى شمال حضرموت في مسافة تتراوح بين ٢٠٠ — ٢٥٠ ميلا ، وان اتجاه هذه الحافة هو من الجنوب الى الشمال ومن الغرب إلى الشرق مما يدل دلالة صريحة واضحة على كيفية نشوء هذه الرمال في الازمنة الجيولوجية واتصالها بالقارة العربية الافريقية التي كان البحر الكريتاسي يحدها من الشرق . وذكر أيضاً أن حافة الرمال من جهة المشرق تتجه إلى الشمال والشمال الشرقي اعتباراً من رملة مغشن السالفة الذكر على مسيرة أربعة أيام للجمال حتى قرن السحامة ومنها ترتفع شمالاً إلى قرب خليج فارس

وفي أواسط منطقة الرمال ترتفع سلسلة عروق الضحية الكلسية على شكل نعل فرس ترتكز قاعدته على هضبات المنطقة النجدية المتاخمة للمحيط الهندي وتمتد ساعده الغربي على محاذاة

---

(١) كان المستر برترام توماس وزيراً للمالية في حكومة سلطان مسقط ، فاتيحت له الفرصة للوقوف على أحوال القسم الجنوبي من بلاد العرب وزيارة بعض الاماكن البعيدة عن العمران ودراسة احوال تلك البلاد وما فيها . وقد اخترق الربع الخالي في أطرافه الشرقية عام ١٩٣٠ — ١٩٣١ وكان قبل ذلك ببضع سنوات يواصل البحث والارتياد عن أحواله وأحوال سكانه وما يشبهم ، وقد وضع عن رحلاته العديدة عدة محاضرات ورسائل وكتباً عديدة أهمها كتابه عن اختراق الربع الخالي وقد سماه (العربية السعيدة) ونشر بمعرفة يونان كاب بلندن

وأما المستر سنت جون فلبي فان معرفته بالبلاد العربية مشهورة منذ ان كان موظفاً في الخلة العراقية أيام الحرب العمومية وقد وضع عن رحلاته في البلاد العربية ثلاثة مجلدات سمى الاثنين الاولين منها باسم « قلب البلاد العربية » والثالث باسم « بلاد الوهابيين » ومنذ بضع سنوات ترك خدمة حكومته وأقام في جدة متعاطياً التجارة وجل قصده من ذلك حسب كلامه أن يفوز بغيته العظمى يوماً ما وهو اجتياز الربع الخالي وارتياد مجاهله . وقد وفق في النهاية الى الوصول الى غرضه وتم له الفوز الاكبر بالقيام برحلته الجريئة في مطلع العام الحالي ١٩٣٢ . وقد وضع عن رحلته الاخيرة هذه كتاباً يصف فيه مشاهداته كما انه قدم تقريراً مفصلا حوى ملخص ما يهم الوقوف عليه فيما يتعلق بالربع الخالي . وقد كتبت هذه الاسطر قبل أن ينشر كتابه

(٢) العربية السعيدة ص ١٨٠

(٣) تقع رملة مغشن بين درجتي الطول الشرقي ٥٤ و ٥٥ ودرجتي العرض الشمالي ١٩ و ٢٠

خط الطول الشرقي ٤٩° إلى قرب خط العرض الشمالي ٢٠° وأما ساعده الشرقي فيسير على محاذاة خط الطول الشرقي ٥٣° إلى قرب خط العرض الشمالي ٢٢°٣٠' . وهذه المنطقة هي بحق منطقة الرمال الكثيفة في الربع الخالي ولا يسكن فيها من القبائل إلاّ الموغل في الهمجية والوحشية والمتحمل لشظف العيش ومتاعب الحياة . وأهم هذه القبائل أربعة . قبيلة آل مرة بأفخاذها ، وقبيلة آل كثير بفخذيها المعنزمين : آل راشد وبيت أماني ؛ وقبيلتا العوامر والمناصير والاولى تسكن في الشمال والغرب والثانية في الجنوب والاثنتان الاخيرتان في الشرق والشمال الشرقي من الربع الخالي

ويمكن القول أن الربع الخالي يقسم البلاد العربية من الوجهة الجيولوجية ، ويؤلف بين أقسامها حدًّا فاصلاً بارز الصفات والتكوين . فقد أوضحنا في البحث العائد لطبقات الارض كيف أن الابحر التي كانت في الاعصر الجيولوجية ممتدة من سواحل البحر الابيض المتوسط إلى الحماد فالنفود الكبير فالمنحدرات الشرقية لسلسلة جبال السراة كانت تلاطم في أطراف الربع الخالي مناطق أرضية تختلف من حيث التركيب الجيولوجي عن جاراتها . فما كان واقعاً من البلاد العربية إلى الغرب والشمال الغربي والجنوب من الربع الخالي هو في الحقيقة قسم من المنطقة الافريقية جيولوجيًّا حالة كون ما كان منها واقعاً الى الشرق والشمال الشرقي منه هو من حيث التكوين الجيولوجي جزء من بلاد إيران ، وقد وضح ذلك من تركيب الصخور والطبقات الارضية في هذه المناطق من البلاد العربية . وأما تكوين الربع الخالي نفسه فمن غير الممكن تعيين صلته بأي القسمين إلاّ أنه مما أمكن جمعه من نماذج الرمال والصخور المأخوذة من جهات مختلفة فيه يمكن القول بأنه مكوَّن من سطح كلسي الاصل تكسو الطبقات العليا منه رمال يشوبها كثير من حبيبات الكلس والجير ، وقد وجد توماس وفلبي بقايا متحجرات بحرية ومائية في جهات عديدة لا يدع وجودها مجالاً للشك في أن البحر كان في الأعصر الجيولوجية غامراً هذه المنطقة بمياهه المالحة في العصرين الجيولوجيين المعروفين باسم العصر الايوسيني والكريتاسي

وأما ارتفاع الربع الخالي عن سطح البحر فيختلف كثيراً بالنسبة إلى المواقع فهو في الجنوب أعظم ارتفاعاً منه في الشرق والشمال إذ بينما يكون ارتفاع الهضبات الجنوبية عند جبال القارة ٢٠٠٠ قدم فان ارتفاع المنطقة الواقعة على حافة الرمال لا يزيد على ١١٠٠ قدم وقوة الانحدار لا تزيد على ٩٠٠ قدم في مسافة لا تبلغ مائة ميل ، ومن حافة الرمال الجنوبية إلى حافتها الشمالية عند بنيان [1] يبلغ مجموع الانحدار ٩٠٠ قدم في مسافة تقرب من ٣٠٠ ميل . ومن المفيد

(١) بنيان واقعة على نقطة تقاطع خط الطول الشرقي ٥٠°١١' بخط العرض الشمالي ٤٠'١١°٢٥

هنا أن نذكر وصف المنطقة التي اخترقها المستر توماس من حيث الارتفاع وعرض كل قسم على حدة ننقله عن كتابه الآنف الذكر مبتدئين فيه من الجنوب الى الشمال :

المسافة بالاميال	نوع الارض
٢٠	١ أرض مرتفعة ذات لون احمر تكثر فيها الاكمة
٤٠	٢ أرض مرتفعة أقل تضرساً ذات رمل احمر وفيها تلال تشبه نعل الفرس
١٠٠	٣ سلاسل بيضاء متوازية تعترضها أودية ذات رمل احمر
٧٠	٤ رمال متموجة ذات لون ابيض
٥٠	٥ رمال متموجة ذات لون ابيض فيها تلال ذات لون احمر
١٠٠	٦ هضاب وسبخات وتلال حمراء على التوالي

ولم يتمكن التحقيق عن الرمال التي دعيت بالبحر الساقي ، وهي الرمال الرقيقة التي تبتلع الاثقال التي تطأها ، وانما قد تكرر ذكرها في جهات الاحقاف الى الغرب الجنوبي من الربع الخالي حيث ذكر الالماني فون فردي كثيراً عنها ، وأما توماس فانه ذكر ارضاً اخرى تدعى أم الصميم تبلغ مساحتها يومين على سير الجمل في كافة الاطراف فانها مغراق لا يمكن اجتيازها ، والغالب انها من نوع السبخات التي تصادف في سائر انحاء البلاد العربية ، فاذا كان الجو رطباً كان العبور منها مستحيلاً لرخاوة طينتها وقلة مقاومتها للاثقال

وأما المياه في الربع الخالي فانها قليلة بل معدومة في جهاته الغربية وكلما اتجه الى الشرق ازدادت مقدار المياه وقل عمقها داخل الارض . وقد كانت طريق المستر توماس في منطقة يمكن ان تدعوها بحق كأنها خافة الربع الخالي الحقيقي الشرقية. فهذه المنطقة محفوفة بالآبار والخيران إلاّ أن أكثر مائها مرٌّ لا يستساغ مطلقاً ويبلغ عمق البئر في بعض الاماكن ٣٠ باعاً أو اكثر. ويقل هذا العمق في الجهات الشرقية إلى أن يصبح ضحضاحاً قليل العمق بالمرة . ويمكن قسمة المياه إلى ثلاثة أقسام : ١ الغدران والخبارى التي يجتمع في باطنها ماء المطر ٢ الآبار العظيمة العمق ذات الماء الذي يمكن شربه ٣ الآبار المتوسطة أو القليلة العمق وهي ذات ماء ملح أجاج لا يشرب . فالمنطقة التي اجتازها المستر توماس غنية بالآبار من النوعين بينما ان المنطقة التي اخترقها فلبي من نيفا إلى سنيل وتبلغ أكثر من ٢٥٠ ميلاً معدومة من الماء من جميع أنواعه

ونظراً لانعدام الماء (ما عدا أيام الامطار) في المنطقة الواقعة الى الغرب من الطريق التي سلكها توماس وهي المنطقة التي يصح أن يطلق عليها اسم الربع الخالي فان الحياة الحيوانية

والنباتية تكاد تكون معدومة فيها . وقد ذكر المستر فلبي انه بعد خروجه من واحة جبرين لم يشاهد على طول الطريق الممتد الى اواسط الربع الخالي ثم من نيفا الى سليل أي انسان كان، مع ان المدة كانت ٥٣ يوماً على سير الابل . والذي يتراءى لنا ان قلة ارتياد البدو لهذه المنطقة انما هو ناشيء في الغالب عن قلة المياه والمراعي اكثر مما هو ناشيء عن المفاوز والمخاطر . فالمرور من جهات مسقط وعُمان وظفار وحضرموت إلى شمال الجزيرة وغربها أمر لا صعوبة فيه إلاّ من جهة قلة المياه والمراعي ؛ وكانت محجة عمان الى مكة تمر وسط الربع الخالي إلى يبرين ومنها إلى الافلاج ؛ وهنالك طريق اخرى ما بين نجد والمحيط الهندي عن طريق أواسط الربع الخالي ايضاً . وهذه الطريق هي التي ورد ذكرها في الاساطير القديمة أن المر واللبان من ظفار ، كانت القوافل تجلبه منها . وقد انعدمت الطرق التي كانت تخترقها القوافل ، وضاعت آثارها ، أولاً لهجرها بعد اكتشاف الطرق البحرية ، وثانياً لأن الرياح الشديدة الهبوب تسفي الرمال بشدة فتغير معالم الأرض وطبيعتها وتنقل الاكثبة الرملية من مكان الى آخر

وقد ذكر لنا بعض من قابلنا من البدو الذين زاروا تلك الانحاء أن عشب الربع الخالي وماءه يجعلان دم الحيوان أسود فاحماً ، ولم يتسنّ لنا تعليل هذه الظاهرة الفسيولوجية إلاّ بملوحة العشب والماء

وأما من حيث العمران فقد كان الشائع عند البدو ان في الربع الخالي آثار عمران عديدة خلفها الاقدمون من حضارات بائدة ، وكانوا يتناقلون أقوالاً متناقضة عن وجود خرابات في وبار القريبة من بئر مغينمة التي زارها المستر فلبي ووجدها بئراً غزيرة الماء ، وكان المقول ان وبار[1] هذه تقع على بعد مرحلتين

ثلاث من واحة جبرين وعلى طريق القوافل التجارية من ظفار وأنها كانت تظهر وتختفي بفعل الرياح الموسمية التي تقشع الرمل عنها فتظهر آثار خرائب وقلاع وقصور عديدة حتى دعيت باسم قصور أم الحديد والحديدة . وقد حقق المستر فلبي بنفسه عن هذه الاشاعات وزار المكانين المشار اليهما وهما يقعان ما بين درجتي الطول الشرقي ٥٠° و ٥١° والعرض الشمالي ٣٠° و ٢١° و ٢٢° فوجد أن ما كان يسميه البدو آثار عمدان وخرائب قصور دامرة إن هو إلاّ بقايا مخروط بركاني عظيم خمد منذ أزمنة متطاولة وبقيت من آثار اندفاعه متحجرات بركانية محروقة ثقيلة الوزن وبلون الحديد فكان البدو يظنونها آثار قلاع وخرائب. وقد جلب المستر فلبي معه بعض حجارة هذه المنطقة وجلب أيضاً حبوب الدخان البركاني المتبلور الذي يسميه البدو باللؤلؤ الاسود ، وشاهد كاتب الاسطر هذه الحبوب فاذا بها أصغر من حجم الحمص بقليل خفيفة الوزن سوداء اللون براقة المظهر

(١) قال ياقوت ج ٨ ص ٣٩٢ ان وبار كانت من محال عاد بين رمال يبرين وحضرموت ونجران واقليم مهرة

وسيكون من آثار رحلتي توماس وفلبي الفتين لخصنا ما كان من تناقضهما العلمية أن البياض الذي اعتاد الناس تركه على خرائط البلاد العربية باسم « الربع الخالي » سيملأ باسماء الاماكن والآبار والهضاب والرمال المختلفة وستنقص الحماسة التي كان يشعر بها جميع من يعنى بالبلاد العربية لمعرفة حقيقة هذا القسم ، وتصبح اسماء مقيسة وشنة ونيفا وأبو بحر وهدبة ودكاكة وبني زيدان والعويرق وغيرها من الاسماء المعتادة كالدهناء والصمان وخف وغيرها

خامساً — منطقة الدهناء . قال ياقوت في معجمه [1] وهي سبعة أجبل من الرمل في عرضها بين كل جبلين شقيقة وطولها من حزن بنـوعة الى رمل يبرين . وهي من أكثر بلاد الله كلأ مع قلة مطر ومياه ، واذا أخصبت الدهناء ربعت العرب جميعاً لسعتها وكثرة شجرها، وقد جعلوا رمال الدهناء بمنزلة بعير وجعلوا أقتابها التي شخصت من عجمتها نحو البنـوعة ثفناً كثفن البعير وهي خمسة أجبل على عدد الثفنات فالجبل الاعلى منها الأدنى الى حفر بني سعد واسمه خشاخش ، والجبل الثاني يسمى حُماطان ، والثالث جبل الرمث ، والرابع معبر ، والخامس جبل حُزوى

***

وقال الويس موزيل [2] : الدهناء فرع من النفود لا يتجاوز عرضها الثلاثين كيلومتراً لكنها تمتد الى مسافة مئات الكيلومترات ، وتبدأ في الشمال من نقطة واقعة على بعد خمسين كيلومتراً عن درب الحج من جهة العراق عند طريق المربط الفاصل بينها وبين النفود وليست رمال الدهناء شاهقة ولا يتكوّن فيها قعور وطعوز وافلاق كالنفود ولكن فيها النوازي وهي سهول رملية رملها ضحضاح يستر طبقة صخرية منها أرض لبيد وفيها ايضاً الدحول [3]

ومياه الدهناء حالياً قليلة ولكن فيها آثار آبار حفرها الاقدمون في اراضيها وطمرتها الرمال الآن

وقال فلبي [4] : ان الدهناء عبارة عن سلاسل رملية وآكام وكثبان متقطعة متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ١٢٠٠ — ١٥٠٠ قدم ، وتخترق الطريق الموصلة بين الحسا والرياض عند جسرا من جهة المشرق وبعد مسيرة نحو ثمانية أميال يصل المار الى سلسلتي بني بدال وبعد هذه تشتد كثافة رمل الدهناء ويصبح السير فيها اكثر صعوبة من الاول حتى يصل الى مزعلات التي يبلغ عرضها نحو ستة أميال وبعدها من المنطقة الاولى نحو عشرة أميال وأما القادم من الكويت

(١) مجلد ٤ ص ١١٥
(٢) تيماء نجد ص ١٦٠
(٣) الدحل شق في باطن الطبقة الصخرية بين الصمان والدهناء يجتمع فيه ماء المطر ويظل فيه مدة
(٤) قلب جزيرة العرب مجلد أول ص ٤٩ و ٢٧٣

والعراق بطريق البدية فانهُ يصل الى عريق الدحول الذي هو مبتدأ الدهناء من هذه الجهة ولكنهُ ليس منها بل لا بد للسافر من السير مقدار ستة أيام أو سبعة لكي يصل الى الدهناء الحقيقية ويحتاج قطع الدهناء من عريق الدحول الى قطر ما يقرب من مسيرة يوم وبُعد أحد الموقعين عن الآخر يبلغ خمسة وعشرين ميلاً منها ١٥ ميلاً ذات رمل كثيف صعب المرور. وقد ذكر فلبي طريقين من هذه الجهة وعدَّ من أقسام الدهناء مربط ومخيط وأرض عقل يفصل بينها خبوب أهمها خب النوم وخب الرضم

***

ونقول ان لفظ الدهناء يطلق على أسياف رملية منفصلة عن النفود الشمالي وواصلة بينهُ الاَّ في مسافة قصيرة بين النفود الجنوبي الكبير المسمى بالربع الخالي وتنتشر الدهناء بشكل حبال وخيوط وألسنة رملية بينها فجوات صلبة والدهناء بمجموعها تفصل بين مرتفعات العارض والقصيم والسدير وبين سواحل الحسا والكويت ويرى بعضهم وجوب اطلاق اسم الدهناء على القسم المتوسط من جبل السلسلة الشرقية من هذه المنطقة. وجبال الرمال الدهناوية عائق من أهم العوائق التي تمنع المسير إذ أنها مؤلفة من سلسلة من الاكثبة قد تكون متصلة وقد تكون موزعة بشكل غير منتظم ولا متسلسل غير ان الذي يجعل اختراق هذه الاصقاع ممكناً هو كون هذه الاسياف قليلة العرض وبين الواحد والآخر خبٌّ صلب القاع وكون عرض الدهناء كلها ليس عظيماً جدًّا تبدأ الدهناء من جوار آبار لينة في الباطن وتمتد الى الشرق الجنوبي والجنوب مسافة لا تقل عن ٦٠٠ ميل قبل أن تبتلعها لجة رمال الربع الخالي ، ولا يبلغ عرضها في مبدإها الشمالي أكثر من ١١ ميلاً ولكنها على بعد ٤٠ ميلاً من الجنوب عن لينة تستعرض وتصبح ١٥ ميلاً ويبلغ ارتفاع بعض كثبانها ٥٠ قدماً وتسير من هذه الجهة في وجهة جنوبية شرقية الى مسافة ١٠٠ ميل حيث يكون عرضها ١٥ ميلاً ايضاً وهنا تتقاطع مع وادي الرمّا (وادي الرمّا بخلاف من يقرأه بالرمة) وتظل على ذلك الشكل الى مسافة خمسين ميلاً اخرى ثم تبتدىء بالانقسام الى الحبال التي هي الظاهرة المميزة لها وتمسح هذه الحبال بعد مسافة قصيرة ارومة ويختلف عرض كل حبل من نصف ميل الى ارومة اميال بينما يكون عرض السهل الخب الفاصل بين الحبال ما يقرب من نصف ميل الى خمسة اميال ايضاً

ثم يزيد عرض الدهناء كلما اتجهت للجنوب الى ان تبلغ معظمها حيثما تنقسم الى سبعة حبال . وتسير الدهناء مسافة اخرى في اتجاه جنوبي الى مسافة ١٢٠ ميلاً أخرى حيث تقطعها طريق الحسا — الرياض وهنا يكون عرضها ٨ اميال فقط

ويحد الدهناء من شرقيها مقاطعة سهلة مرتفعة تعرف بالصمان سأتي على وصفها فيما يلي والطرق المطروقة التي تخترق الدهناء من الشرق الى الغرب اهمها ثلاث: احداها وأقصاها

نحو الشمال الطريق التي تصل بين العراق والكويت من جهة الديدبة وهي ممتدة من عريق الدحول الى بطرا ، والثانية من الكويت بطريق الصافة ووادي الرمة الى الوشق والقصيم ، والثالثة من الحسا الى الرياض عن جسرا و بني بدالي ومزعلات الى ابي جفان فالرياض . وقد عد الشيخ يوسف ياسين هذه العروض فوجدها من حفر بني سعد الى العمان

(١) — عريق عنق الجمل
(٢) — عريق ابي ثمام
(٣) — عريق الحمراني
(٤) — السراوى الاول
(٥) — السراوى الثاني
(٦) — جهام
(٧) — الدحول او حجلان[1]

سادساً — منطقة الصمان : هذه هي المنطقة الجغرافية السادسة في المملكة اعتباراً من ساحل البحر الاحمر : وهي واقعة بين الدهناء غرباً والمنطقة السهلية الساحلية شرقاً، وتختلف عرضها من ٥٠ إلى ٩٠ ميلاً ، وهي في الشمال أعرض منها في الوسط والجنوب ، ويبلغ متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ١٢٥٠ قدماً

أما ارض هذه المنطقة فمن الممكن حسبانها كامتداد لمنطقة سهول الحجرا وتتكوّن من الحجر الرملي على شكل تلال متقاربة في بعض أنحائها أحجار كلسية . ومع أن الصمان هضاب كما ذكرنا فان فيها مساحات شاسعة مؤلفة من سهول تنحدر تدريجاً في هبوطها الى جهة الساحل. ويوجد بقرب هذه المنطقة مجمع ثلاث آبار مهمة : الحفر والصافة والوبرا ، ولكن الصمان يغلب عليه الجفاف ولا يوجد فيه ماء يذكر إلاّ ما تجمع بعد الامطار

سابعاً : المنطقة الساحلية الشرقية يبلغ عرضها خمسين ميلاً وهي أرض رملية تشبه في تكوينها أرض التهائم في جهة الساحل الغربي وهي قليلة الانبات إلاّ في الواحات الواقعة في أطرافها وهي القطيف والحسا . والمياه في هذه الواحات كثيرة جداً وقد أطلق اسم الحسا على هذه المنطقة من كثرة الاحساء (واحدها حسو) وهو النبوع الذي يمكن حفره على مسافة قريبة من سطح الارض

(١) يجتاز كاتب هذه الاسطر الدهناء في طريقه من الكويت الى الرياض بالسيارة يوم ١٤ يوليو ١٩٣٢ وكانت طريقة السير كما يأتي : الكويت — قرية العطا — منيصفة — الحمير — أم الصفافير الهبريات — ضلع كارة بالفرج — دحل أبا الجرفان — خباري التهايل — دحل الغشامي — عريق الدحول المرباخ وهو اول الدهناء — عريق جهام — خبة الجندلية — عريق السرو وخبته — عريق الروبك وخبته عريق تمر وخبته — عريق حمراوي وخبته — انتهى ومنها الى رماح ومنها الى الرياض